دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	السياسة والدبلوماسية
المصدر:	مجلة الدبلوماسي
الناشر:	وزارة الخارجية - معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية
المؤلف الرئيسي:	مصطفى، عباس موسى
المجلد/العدد:	ع 7
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1986
الشهر:	ربيع الثاني - ديسمبر
الصفحات:	20 - 25
رقم MD:	304077
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الخطط السياسية، السياسة الخارجية ، الدبلوماسية ، الدراسات السياسية ، التعاون الدولي ، نظم الحكم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/304077

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

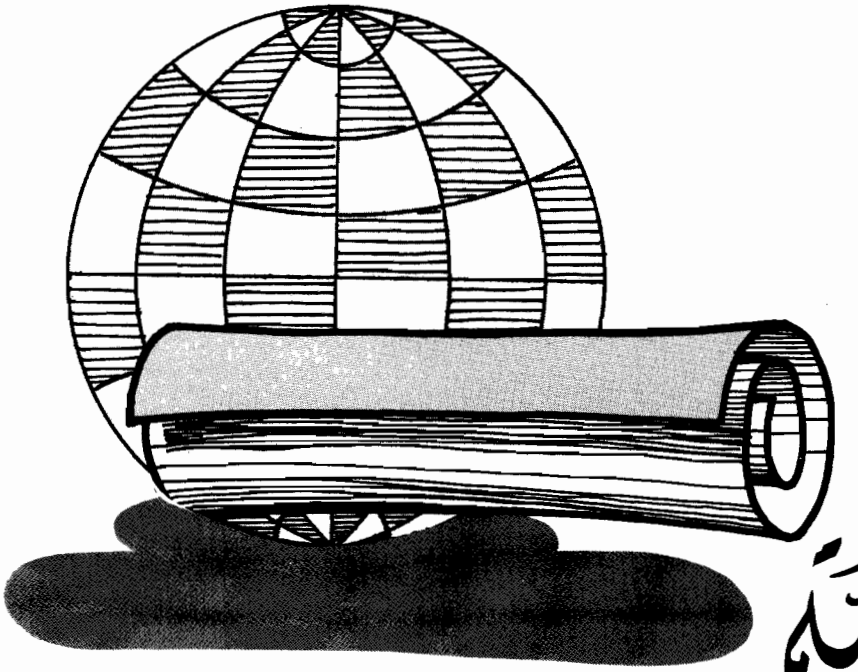

السياسة والدبلوماسية

أ. عباس موسى مصطفى
خبير بمعهد الدراسات الدبلوماسية

على كثرة ما كتب عن السياسة وعن الدبلوماسية فالملاحظ أن هناك خلطاً واضحاً لدى بعض الناس عن مفهوم كل منهما حتى بين فئة الدبلوماسيين أنفسهم للدرجة التي أصبح فيها من المألوف أن تجد لوحات سيارات بعض الدبلوماسيين تحمل خطأ عبارة «هيئة سياسية»، وسيارات البعض الآخر تحمل بحق عبارة هيئة دبلوماسية

فما هي السياسة إذن، وماهي الدبلوماسية؟ هل هما مصطلحان متطابقان، أم مستقلان، أم متكاملان، وماهو الحد الفاصل بينهما إن كان هنالك ثمة استقلال أو تكامل؟

هذا ما سنحاول إلقاء الضوء عليه في هذا المقال.

أولا : السياسة :

١ ــ مفهومها ومضمونها :

السياسة لغة هي القيام بشئون الرعية، واستخدم العرب لفظ السياسة بمعنى الإرشاد والهداية، ووضعوا فيها كتباً أقدمها كتاب «تهذيب السياسة» للأهوازي.

والسياسة كمصطلح تعني علم الدولة. ويعتبر أفلاطون أول فيلسوف قدم نظرية متكاملة عن «المفهوم المثالي» للدولة في كتابه «الجمهورية» وعن «المفهوم المتوازن» للدولة في محاوراته «السياسي»و«القوانين». كما يعتبر أرسطو مؤسساً لعلم السياسة بكتابه «السياسة» الذي بحث فيه نظام المجتمع الإنساني، وأنواع الحكومات، والقوى الاجتماعية المختلفة في النظام السياسي، وأسباب التغير السياسي، كما نادى بسيادة القانون وميز بين العلاقات المختلفة في المجتمع موضحاً أن النشاط السياسي يختلف عن غيره من الأنشطة، وقسم السلطة إلى ثلاثة أنواع من الأنشطة تبلورت فيما بعد في نظرية «فصل السلطات».

كما أن الدراسات السياسية تأثرت بعد ذلك

بنظريات كثير من الفلاسفة ورجال الفكر والاقتصاد من أمثال توماس هوبز، وجون لوك، وجان جاك روسو، الذين نسبت إليهم نظرية «العقد الاجتماعي» ومنتسكيو صاحب نظرية «فصل السلطات» التي ضمنها كتابه «روح القوانين».

هذا، وقد خطت منظمة اليونسكو، منذ منتصف هذا القرن، خطوة نحو تحديد المواضيع التي تقع في دائرة السياسة، فقسمتها إلى أربع مجموعات هي :

«(أ)النظرية السياسية، وتشمل بالإضافة الفكر السياسي.
(ب)النظم السياسية، وتشمل نظم الحكم، والمؤسسات السياسية الرسمية والدساتير والحكومة المركزية، والحكومة المحلية أو الإدارة المحلية، والحكومات المقارنة.
(جـ) الأحزاب السياسية والرأي العام، وتشمل الأحزاب، وجماعات الضغط، والرأي العام.
(د) العلاقات السياسية الدولية، وتشمل السياسة، والتنظيم الدولي».

نلاحظ أن هذا التقسيم، وإن كان قد شمل السياسة بشقيها الداخلي والخارجي، إلا أنه لم يكن جامعاً مانعاً لموضوعات السياسية، ولاغرابة في ذلك لأن السياسة باعتبارها علماً من العلوم الاجتماعية تتفاعل مع متغيرات كثيرة تتصل بعوامل إنسانية متداخلة ومعقدة وسريعة التطور، الأمر الذي يصعب معه تحديد موضوعاتها وضبط مسارها على المدى الطويل بصفة قاطعة. وقد اتسع فعلاً نطاق الموضوعات فشمل اليوم، فيما شمل، مشاكل الدول النامية في التنمية الاقتصادية والمالية والاجتماعية، كما برزت فروع أخرى للسياسة كالتحليل السياسي، والسلوك السياسي.

يتضح مما تقدم أن هناك ارتباطاً وثيقاً وتداخلاً بين السياسة من جهة، وكل من القانون الدستوري، والقانون الإداري، والقانون الدولي، وبينها وبين الاقتصاد، والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، وكذلك بينها وبين التاريخ، خاصة التاريخ السياسي، الذي يعتبر مصدراً رئيسياً من مصادر الفكر السياسي.

٢ ــ الأهداف والوسائل :

أ ــ تضع الدولة سياستها الداخلية والخارجية التي تخدم مصالحها الوطنية وفقاً لتوجهها السياسي، وفي ضوء مبادئها ومقوماتها الذاتية المتمثلة في عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الحضارية، والمستمدة من واقع تاريخها وموقعها الجغرافي.

فأهداف السياسة الداخلية للدولة هي جماع النقاط الرئيسية للخطط التي تقرر الدولة اتباعها في الداخل على المستوى القريب والبعيد.

كذلك الحال بالنسبة للسياسة الخارجية مع فارق وحيد هو أن الدولة تقرر اتباعها في علاقاتها مع الدول الأخرى.

ب ــ إن الدولة عندما تضع سياستها الداخلية تهدف إلى تحقيق مصلحة مشتركة (أو مصلحة عامة)، تتفق مع التطلعات الأساسية لشعبها، ومع روح التعاون بين أفراده وجماعاته، وهذا التعاون هو ما أطلق عليه اصطلاح «الوفاق الداخلي» وهو بعبارة أخرى، الوحدة الوطنية. وهذا الوفاق ليس وقفاً على نظام معين من الأنظمة السياسية دون غيره، فالدولة، التي تعجز عن تحقيقه تصبح نهباً للاضطرابات والحروب الأهلية، والانقلابات والثورات ووحدتها الوطنية، وبالتالي وحدتها السياسية، ومن ثم تستطيع أن تؤدي وظيفتها في الداخل والخارج خير أداء فتحقق بذلك تطلعاته الرئيسية.

تلجأ الدولة، لتحقيق هذا الهدف، إلى إشاعة روح الوفاق والصداقة والتضامن بين أفراد الشعب وجماعاته

وأحزابه عن طريق «الإقناع» المباشر أو عن طريق استخدام وسائل الإعلام المختلفة للتأثير على الرأي العام والذي له تأثيره أيضاً على مجريات الأحداث.

كما قد تلجأ الدولة إلى «الإكراه» كوسيلة لتنفيذ القانون، أو لتحقيق الوفاق بين القوى المتصارعة، أو لأي سبب آخر من أجل المحافظة على السلامة العامة أو النظام العام.

جـ ــ في حالة السياسة الخارجية فإن الدولة تقيمها على مرتكزات أساسية تهدف من ورائها إلى إقامة علاقات الصداقة، وإلى تنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية .... الخ بينها وبين الدول سعياً وراء حماية مصالحها الحيوية والعامة ومصالح رعاياها، وتوطئة لصيانة السلم والأمن الدوليين. كما تهدف الدولة، في المقام الأول، إلى الحفاظ على استقلالها وسلامة أراضيها وحماية شعبها من أي تهديد خارجي، وهذا هو ماأطلق عليه اصطلاح «الأمن الخارجي».

تستخدم الدولة، لتحقيق ذلك، إما الوسائل السلمية ومن بينها المفاوضة أو أية صورة من صور الضغط الذي قد يصل إلى استخدام القوة العسكرية، أو تلجأ في ذات الوقت إلى الوسيلتين معاً، بمعنى أنها لاتكتفي بالمفاوضة بل تقرنها بصورة من صور الضغوط، كالضغط السياسي أو الاقتصادي أو العسكري، ومثال ذلك ماحدث في حرب أكتوبر ١٩٧٣م من استخدام سلاح النفط لترجيح كفة العرب في معركة تحرير الأرض المحتلة، تلك الحرب التي كان هدفها هو «تحريك القضية العربية» ووضعها في مركز الاهتمام العالمي لإجبار العدو على الانسحاب، وكسب موقع أفضل للتفاوض.

د ــ تختلف الجهة المختصة بإصدار القرار السياسي بالنسبة للسياسة، بشقيها الداخلي والخارجي، من دولة لأخرى حسب طبيعة النظام نفسه ديمقراطياً كان أو دكتاتورياً، وحسب قيام النظام على تعدد الأحزاب أو قيامه على الحزب الواحد أو كان يحظر الأحزاب تماماً.

ثانياً : الدبلوماسية :

١ ــ مفهومها ومضمونها :

(أ) كلمة «دبلوماسية» مأخوذة من الكلمة الاغريقية DIPLOMA، وهي بدورها مشتقة من الفعل DIPLON، وقد اطلقت كلمة «دبلوما» في عهد الامبراطورية الرومانية على الوثائق والصكوك الصادرة من الملوك والأمراء والمتضمنة منح شخص توصية خاصة، أو إمتيازات معينة، ثم أصبح اللفظ يطلق على الوثائق الرسمية خاصة تلك التي تتضمن الاتفاقات والمعاهدات، حتى شمل اليوم عدة معاني ومضامين تبلورت في «تمثيل الدول والتفاوض».

(ب) تعرف الدبلوماسية في العصر الحديث بأنها «علم وفن» فهي علم من الناحية النظرية، وفن من الناحية العملية.

أولاً: الدبلوماسية كعلم، تبحث في العلاقات بين الدول ... نشأتها وتطورها، مهامها وتنظيمها، والمبادىء والقواعد التي تحكمها. انبثقت تلك المباديء والقواعد أساساً من الأعراف والتقاليد الدولية، ثم استقر الكثير منها في اتفاقيات دولية.

عليه فالدبلوماسية كعلم تعني، فضلاً عن الإلمام بالأعراف والتقاليد الدولية، دراسة العلاقات الدولية بكل جوانبها وتطور هذه العلاقات، ومن ثم الإلمام بالمفاهيم الاساسية لتلك العلاقات وبالمواثيق والمعاهدات والاتفاقيات الدولية التي نظمت قواعد المعاملات بين الدول،

وهي في النهاية العلم بحقوق كل دولة والتزاماتها قبل الدولة الأخرى، وحقوق كل دولة والتزاماتها قبل المجتمع الدولي الكبير.

تأتي في مقدمة الاتفاقيات اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية لسنة ١٩٦١م، التي نظمت البعثات الدبلوماسية تنظيماً شاملاً كاملاً كجهاز تمارس من خلاله الدبلوماسية الاحترافية، وحددت نشأتها ومهامها، حصاناتها وامتيازاتها، وإنهاءها.

وقد نصت المادة الثالثة من اتفاقية فينا المشار إليها على مهام البعثة الدبلوماسية على الوجه الآتي :

«١ ــ تشمل أعمال البعثة الدبلوماسية ما يأتي :

(أ) تمثيل الدولة المعتمدة لدى الدولة المعتمد لديها.

(ب) حماية مصالح الدولة المعتمدة وكذلك مصالح رعاياها لدى الدولة المعتمد لديها في الحدود المقررة في القانون الدولي.

(جـ) التفاوض مع حكومة الدولة المعتمد لديها.

(د) التعرف بكل الوسائل المشروعة على ظروف وتطور الأحداث في الدولة المعتمد لديها، وعمل التقارير عن ذلك لحكومة الدولة المعتمدة.

(هـ) تهيئة علاقات الصداقة وتنمية العلاقات الاقتصادية والثقافية والعلمية بين الدولة المعتمدة والدولة المعتمد لديها.

٢ ــ لايفسر أي نص من نصوص هذه الاتفاقية بأنه يحرم البعثة الدبلوماسية من مباشرة الأعمال القنصلية».

ثانياً: «أما الدبلوماسية كفن، فيقصد بها الدبلوماسية في حالة حركة ... أي ممارستها عند التعامل مع الغير. فالدبلوماسي حين يتحرك ليحمي مصالح دولته ورعاياها لدى الدولة المعتمد لديها، وحين يتفاوض معها باسم دولته لتسوية نزاع أو حل خلاف، وحين يسعى لتوطيد وتنمية علاقات الصداقة والود في كافة المجالات بينها وبين دولته، إنما يمارس الدبلوماسية كفن، ونجاحه يتوقف على الأسلوب الذي ينتهجه في معالجته للأمور للوصول إلى غرضه، وعلى مدى مايتسم به من حنكة ودراية، من حكمة وحسن تصرف، من لباقة وبراعة، من حيوية ومرونة، من صبر وأناة وسرعة بديهة. وأهم مايحتاج إليه الدبلوماسي للنجاح في عمله هو ثقة الذين أوفدوه، وثقة الذين استقبلوه لتمثيل دولته لديهم. والدبلوماسي حريص دائماً على المبدأ المعروف بشَعرة معاوية إذ كان يقول في مجالسه «لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت ..... إذا هم شدوا أرخيت، وإذا أرخوا شددت».

هذا وقد ساد في فترة من الزمن مفهوم خاطيء تزعمه ميكافيللي، جعل من الفن الدبلوماسي، رديفاً للنشاط الخفي، والاتصالات المريبة، والغش والخداع والكذب بالتجسس والتآمر، مرتكزاً على ممارسات رجال الدولة في القرون الماضية، والدبلوماسية براء من هذا المفهوم الخاطيء ... فالعلاقات الدبلوماسية التي تبني على سوء النية وفقدان الثقة تولد ميتة، وهذا هو ماحمل فلاسفة الدبلوماسية إلى الإشادة بأهمية الصدق وتبادل الثقة في المجال الدبلوماسي.

يحدثنا تاريخ الدبلوماسية أن ملك انجلترا جيمس الأول كان قد عين هنري واتون سفيراً له لدى ايطاليا، ثم عزله قبل أن يغادر بلاده لتسلم أعباء منصبه لأنه صرح للصحفيين بأن السفير «هو غالباً إنسان مستقيم، ترسله دولته إلى دولة أخرى، ليتجسس عليها وليكذب فيها خدمة لحكومته وبلاده».

والدبلوماسية كفن عرفها الإنسان بغريزته وفطرته منذ فجر التاريخ، وقد اعتبر هارولد نيكلسن «أن أول رجل متوحش خرج من صراع دموي عنيف مع جيرانه، ليعرض عليهم التهادن، وتقاسم مناطق محددة لسيد كل فريق، كان هو «الدبلوماسي الأول»». كما

عرفتها الحضارات القديمة في الصين والهند في شكل تبادل الرسل والمبعوثين، وفي مصر وبابل في شكل معاهدات الصداقة والتحالف، ولدى الإغريق في العلاقات بين مدنهم القديمة، كما عرفها العرب في جاهليتهم وإسلامهم في علاقاتهم التجارية والسياسية مع الفرس والروم والحبشة، وقد استهدفت الدبلوماسية في عهد الرسول ﷺ الدعوة إلى الإسلام فأوفد المبعوثين وعقد المعاهدات، وقال قولته المشهورة لمبعوثي مسيلمة الكذاب «والله لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما». وبذلك أرسى فكرة حصانة المبعوث.

٢ ــ الأهداف الوسائل :

أ ــ أهداف الدبلوماسية هي نفس الأهداف التي تضعها الدولة لسياستها الخارجية، والتي هي بدورها امتداد لسياستها الداخلية، من أجل حماية مصالحها ومصالح رعاياها لدى الدول الأخرى بإقامة علاقات الصداقة معها وتنمية العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية .. الخ، وكذلك من أجل صيانة السلم والأمن الدوليين. وتبادل العلاقات الدبلوماسية بين دولتين هو أول مظهر من مظاهر علاقات الصداقة والود، ويقع على الدبلوماسية عبء المحافظة على هذه الصداقة وتنميتها لتنعكس على كافة مجالات التعاون.

ب ــ إن الدبلوماسية، في سعيها لتحقيق الأهداف المنوط بها تنفيذها على مستوى العلاقات الدولية، تستخدم وسيلة واحدة لاغير، هي المفاوضة لتأمين أقصى حد من المصالح الوطنية بأقل قدر من الاحتكاك دون اللجوء إلى العنف، ذلك لأن الدبلوماسية هي البديل السلمي للتحارب واستعمال القوة، وهي أداة تنفيذ للسياسة الخارجية، وقد وصفها جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة سابقاً بأنها «خط الدفاع الأول للدولة ضد الأخطار الخارجية».

جـ ــ هذا وقد تطور أسلوب ممارسة الدبلوماسية المعاصرة وتنوع، فحلت «العلنية» محل «السرية» وشارك في ممارستها السياسيون والفنيون من غير المحترفين، وكثرت دبلوماسية القمة فأصبحت أمراً عادياً، وظهرت الدبلوماسية «المكوكية»، ودبلوماسية المؤتمرات، ودبلوماسية المنظمات الدولية، والقارية والإقليمية، ويرجع ذلك إلى تطور وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية، ووسائل الانتقال، والإعلام، وبالتالي انتشار الفكر الديمقراطي مما ساعد على بروز رأي عام محلي وعالمي.

ذهب بعضهم، استناداً إلى الاسباب المذكورة آنفاً وغيرها، إلى أن الدبلوماسية التقليدية قد قل شأنها، وتقلص دورها، في الزمن المعاصر، ومع ذلك فالدبلوماسية، استناداً لنفس الأسباب، وللتطور المذهل الذي حدث في نوعية أسلحة الدمار التي تجاوز تهديدها الحضارة البشرية إلى التكوين البيولوجي للإنسان، مازالت هي خير وسيلة لحماية الإنسان من تدمير نفسه بنفسه مادام اللجوء إلى الحرب قد أصبحت تحفه المخاطر الجسام، وما ظل ميزان «توازن الرعب» قائماً ومتحكماً في الساحة الدولية، هذا فضلاً عن أن التطور الذي حدث في أسلوب ممارسة الدبلوماسية أضاف بعداً جديداً للدبلوماسية ترتب عليه خلق كوادر جديدة قادرة على المساهمة الفاعلة في المؤتمرات والمنظمات الدولية والقارية والإقليمية.

ثالثاً : الفروق الرئيسية بين السياسة والدبلوماسية :

فيما يلي نجمل الفروق الرئيسية بين السياسة والدبلوماسية :

(أ) السياسة هي علم الدولة ... تبحث في أصل الدولة، أهدافها، مؤسساتها وعلاقاتها، وعلاقات الدولة بغيرها من الدول، وبالتالي فهي تشمل السياسة الداخلية والسياسة الخارجية للدولة وكذلك السياسة الدولية بينما الدبلوماسية هي

علم دراسة العلاقات الدولية، وفن تطبيق هذه العلاقات وادارتها في مواجهة الآخرين، وبالتالي فإن نطاق تطبيقها يقتصر على السياسة الخارجية والدولية دون الداخلية.

(ب) السياسة بشقيها الداخلي والخارجي، يضعها النظام السياسي في الدولة بموجب قرار سياسي، ورغم أن وزير الخارجية يسهم في إصداره باعتباره عضواً في النظام السياسي المكلف بوضع السياسة الخارجية، إلا أن دور الدبلوماسية مقصور على تنفيذ القرار في مجال العلاقات الدولية، كما يقتصر دور وزارة الخارجية على تزويد النظام السياسي بالمعلومات اللازمة، وبتقييمها للمواقف مما يساعد في إصدار القرار.

(جـ) أهداف الدبلوماسية هي نفس الأهداف التي يضعها النظام السياسي في الدولة لسياسته الخارجية، والدبلوماسية أداة تنفيذ لها، وهي باعتبارها امتداداً للسياسة الداخلية، يتسع نطاق عملها ليشمل كافة المجالات الاقتصادية والمالية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والقنصلية والعسكرية.

(د) الدبلوماسية يمارسها، بصفة أصلية، جهاز وظيفي متخصص تابع لوزارة الخارجية، وتحكمها بصفة خاصة اتفاقية فينا للعلاقات الدبلوماسية لسنة ١٩٦١ التي أصبحت المرجع الرئيسي للتعرف على إنشاء البعثات الدبلوماسية ومهامها وحصاناتها وامتيازاتها وإنهائها. وقد شهدت الدبلوماسية المعاصرة تطوراً في أسلوب ممارستها مس طبيعتها ونوعيتها حيث حلت «العلنية» محل «السرية» وحيث أصبح يسهم في ممارستها بعض السياسيين والفنيين من غير المحترفين.

(هـ) السياسة، بشقيها الداخلي والخارجي، تتعدد وسائل تنفيذها، فالنظام السياسي قد يلجأ إلى المفاوضة أو إلى أية وسيلة أخرى من وسائل الضغط التي قد تصل إلى الحرب أو إلى الوسيلتين معاً، المفاوضة والحرب مثلاً، بينما تقتصر الوسيلة التي تستخدمها الدبلوماسية على المفاوضة فقط.

نخلص مما تقدم إلى أن الدبلوماسية ليست مطابقة للسياسة، ولاهي مستقلة عنها، ولكنها مكملة ومنفذة لها في مجال العلاقات الدولية.

المراجـــع

في السياسة :

١ ــ إبراهيم درويش، **علم السياسة.**
٢ ــ جمال عبد الملك، **في السياسة والاستراتيجية.**
٣ ــ جوليان فروند، **ماهي السياسة.**

في الدبلوماسية :

١ ــ جمال بركات، **الدبلوماسية : ماضيها وحاضرها ومستقبلها.**
٢ ــ حسن مصعب، **الدبلوماسي العربي.**
٣ ــ على صادق أبو هيف، **القانون الدبلوماسي.**
٤ ــ محمد مختار الزقزوقي، **دراسات دبلوماسية.**
٥ ــ اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية ١٩٦١.
٦ ــ - Abba Eban: The New Diplomacy.
٧ ــ - Adam Watson: Diplomacy.

القواميس :

ــ أحمد عطيه الله : **القاموس السياسي.**
ــ الموسوعة السياسية (د. عبدالوهاب الكيالي) الجزء الثاني ص ٦٥٨.
ــ لسان العرب.